تطور البحث المعرفي عند السيد الشهيد محمد باقر الصدر في معالجة ظاهرة الإلحاد في العراق للمدة (1950-1980)

The development of cognitive research according to the martyr Muhammad Baqir al-Sadr in dealing with the phenomenon of atheism in Iraq for the period (١٩٥٠-١٩٨٠)

م.م نغم عبد الحسين محمد

Eng. Nagham Abdel Hussein Mohamed

م.د مصطفى عبد الحسن فرحان

Dr. Mustafa Abdel Hassan Farhan

جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام/ كلية العلوم الادارية والمالية

Imam Jaafar Al-Sadiq University, peace be upon him, College of Administrative and Financial Sciences

المستخلص

يتلخص البحث في في محاولة رصد تطور نظرية المعرفة عند السيد الشهيد محمد باقر الصدر بدءا من تأليفه لكتابه الشهير – فلسفتنا – الذي يمثل المرحلة الأولى، ثم تأليفه لكتابه الفريد – الأسس المنطقية للاستقراء – الذي يمثل المرحلة الثانية، إذ تمتاز كل مرحلة بمبادئ وبأهداف، جاءت الأولى منها استجابة لتحدٍ واقعي متمثلا بمشكلة الإلحاد ومواجهتها بأدلة علمية لردها ومخاطبة وعي الناس، هذا الأمر اقتضى إعادة برمجة الجهاز المعرفي وإجراء تعديلات جوهرية لآليات التفكير في علم الكلام، واستخدام نظرية المعرفة وإدخالها في علم الكلام، ثم مر عقد من الزمان تقريباً ليبتدع السيد الشهيد محمد باقر الصدر نظرية جديدة غير مسبوقة في المعرفة البشرية اطلق عليها المذهب الذاتي في المعرفة حل من خلالها مشكلة التعميم واليقين، وكان من معطيات هذا التطور المعرفي تطبيقه في معالجة مشكلة الالحاد، إذ توصل السيد الشهيد محمد باقر الصدر إلى إثبات الصانع (الله) استقرائيا وإثبات العلوم الطبيعية كذلك، فلم يدع للآخر مجال إلا بقبولها معا أو رفضهما معا. ثم خلص البحث الى استنتاجات وتوصيات.

كلمات مفتاحية: نظرية، الشهيد، المعرفة، المعرفة، الالحاد

Abstract

The research seeks to investigate the development of the epistemology theory of the Muhammad Baqir al-Sadr, starting with his of his famous book “Falsafatuna” (our philosophy in English) which represents the first stage, and then his seminal book - The Logical Foundations of Induction - which represents the second stage, as each stage is characterized by principles and objectives. The first of stage is a response to a realistic challenge represented by the issue of atheism and confronting it with scientific evidence to respond to it and address people’s awareness. This necessitated reprogramming the cognitive system and making fundamental modifications to the mechanisms of thinking in theology, and the use of epistemology and its introduction into theology, then nearly after a decade, Muhammad Baqir al-Sadr came up with a new and unprecedented theory of human knowledge, which he called the subjective doctrine of knowledge, through which he solved the problem of generalization and certainty, and one of the data of this knowledge development was its application in addressing the issue of atheism, as Muhammad Baqir al-Sadr proved the Creator (God) inductively and proved natural sciences as well. He did not leave room for the other except by accepting them together or rejecting them together. Then the research concluded to conclusions and recommendations.

Keywords: theory, martyr, knowledge, knowledge, atheism

المقدمة

يعد موضوع الالحاد من المواضيع البارزة هذه الايام بسبب تفشي هذه الظاهرة بين بعض الشباب الجامعيين خصوصا، ولأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية ومعرفية، ويأتي هذا البحث في سياق معالجة هذة الظاهرة الصدر جهد واضح في هذا الموضوع الذي شغل مساحة كبيرة في فكره، إذ بحثه بطريقة مبتكرة تختلف عمن عاصروه، فقد واجه الفكر بالفكر، وانتقل من ردة الفعل الى الفعل، وقد تساءل عن النظام الاجتماعي الأصلح الذي يحقق السعادة للبشرية ثم استهل مدخلية بحثه بنظرية المعرفة فناقش المدارس الفلسفية العالمية بطريقة نقدية، وقد ركز على مناقشة الفكر الماركسي أكثر كواقع حال آنذاك، وكان متماهيا ومنتصرا للمنطق العقلي الأرسطي، ومفندا المنطق الديالكتيكي، منتقلا بالفكر الاسلامي من الدفاع الى الهجوم، ثم ما لبث أن دشن طريقا جديدا في نظرية المعرفة باكتشافه المنطق الذاتي للمعرفة في كتابه الفريد الأسس المنطقية للاستقراء دراسة جديدة للاستقراء تستهدف اكتشاف الأساس المنطقي المشترك للعلوم الطبيعية وللإيمان بالله، في لفتة منهجية رائعة تجعل المتلقي إما بقبول هذا الأساس المنطقي للفيزيقيا وللميتافيزيقيا معا أو رفضهما معا، أما محاولة قبول أحدهما وانكار الآخر فذلك خطأ منهجي.

وقد انطلق البحث من مشكلة وفرضية هما كالآتي:

مشكلة البحث:

تبرز مشكله الالحاد بين الحين والاخر لاسباب كثيرة، ومن اسبابها الضعف الفكري للمؤسسة الدينية ، الذي يعد السيد الصدر ابرز روادها.

فرضية البحث:

في العراق هناك أثر كبير للمؤسسة الدينية على المجتمع، والعلاقة طردية بينها وبين المجتمع من حيث القوة والضعف في الجانب الفكري، ففي انعزالها ينعكس ذلك سلبيا على المجتمع، وفي فعاليتها ينعكس ذلك ايجابيا على المجتمع، ومن خلال تطبيق ذلك على ظاهرة الالحاد ومعالجتها يتضح ذلك جليا في الدور الإيجابي للسيد محمد باقر الصدر وتعدد اساليبه قي معالجه الظاهرة.

هيكلية البحث:

الفصل الأول فلسفتنا ونظرية المعرفه عند السيد الصدر

أولا: العرض الاجمالي المقارن بين "فلسفتنا " و"الأسس المنطقية للاستقراء"

ثانيا: الأدلة الفلسفية لاثبات الصانع في" فلسفتنا " للسيد الصدر

١) دليل الحركة في اثبات الصانع
٢) الأدلة المستندة والعلوم الطبيعية في اثبات الصانع
٣) نموذج من الدليل الفلسفي على اثبات الصانع

الفصل الثاني: الأسس المنطقية للاستقراء ونظرية المعرفة عند السيد الصدر

أولا: الاستدلال العلمي لاثبات الصانع (الله تعالى)

ثانيا: تحديد وتوضيح ضغوطات المنهج الاستقرائي

ثالثا: المثال التطبيقي الوصفي لاثبات الصانع

رابعا: الصيغة الرياضية للمنهج الاستقرائي القائم على حساب الاحتمالات

الاستنتاجات والتوصيات

الفصل الأول

(فلسفتنا ونظرية المعرفة عند السيد محمد باقر الصدر)

اولاً: العرض الاجمالي المقارن بين "فلسفتنا " و"الأسس المنطقية للاستقراء"

مر التطور المعرفي في نظرية المعرفة لدى السيد الصدر بمرحلتين مهمتين هما:

١) المرحلة الأولى (١٩٥٩-١٩٦٥): مرحلة التوالد الموضوعي وتمتد من سنة ١٩٥٩ حينما نشر كتابه فلسفتنا وامتدت الى سنة ١٩٦٥ وهي السنة التي يرجح انه اصدر كتاب الأسس المنطقية للاستقراء.

لقد كان السيد الصدر عقلياً في مرحلته الأولى عندما كتب كتابه الذائع الشهرة (فلسفتنا) رغم فقر البيئة النجفية فلسفتنا.

لقد جاء هذا الكتاب استجابة لتحدي المد الشيوعي آنذاك والرد عليه اكثر من تلبية لرغبة علمية، لذلك لم يتصد السيد الصدر الى تعريف الفلسفة او موضوعها وغير ذلك مما اعتبر من الموضوعات التي غالباً ما تثار في معظم الكتب الفلسفية الندرسية. لقد كان السيد الصدر بصدد مهمة هي معالجة إشكالية مهمة هي (المفهوم الفلسفي للعالم)

٢) المرحلة الثانية: مرحلة التوالد الذاتي وهي التي بدأت قبل (١٩٦٥) وامتدت الى ما بعدها، حينما اصدر كتابه الأسس المنطقية للاستقراء، الكتاب الأكثر جرأة وابداعاً في حقله والاقل شهرة، ويلاحظ قصر الفترة بين إصداره لكتابه الأول فلسفتنا وبين الأسس المنطقية للاستقراء إذ أنها لم تكن سوى أقل من ست سنوات والتي نضج فيها وتطور الفكر الفلسفي عند السيد الصدر.

آثار الكتاب حتى صدوره، ردود فعل متباينة، فقد وصفه الفيلسوف الإيراني الدكتور عبد الكريم سروش بأنه من أبدع أنكار وابتكارات السيد الشهيد آية الله محمد باقر الصدر ومن احلى ثمار ذهنه الوقاد المبدع، ويستمر بكلامه ويقول بجرأة إن هذا الكتاب أول كتاب في تاريخ الثقافة الإسلامية حرره فقيه مسلم متناولاً فيه احدى اهم مشكلات فلسفة العلم والمنهج العلمي المصيرية مع وضوح وبصيرة وشمول في عرض ونقد نظريات الغرب والشرق. مع ذلك فهذا الكتاب من اكثر دراسات هذا الراحل العظيم خفاءاً وغربة[١]. ورغم ترجمته الى اللغة الفارسية ظل اسمه خفياً، وبقيت قيمته مجهولة، وذلك لان هذه الديار –ايران– يتفقون على الاعتقاد بأن مشكلة الاستقراء عالجها السلف من الحكماء[٢]

والتدليل على صحة كلام الدكتور سروش، صدر كتاب (نظرية المعرفة) تطرق الى كتاب فلسفتنا وأشار اليه الا انه لم يذكر الأسس المنطقية للاستقراء لا من قريب ولا من بعيد[٣]. وقد صدرت طبعته الأولى سنة ٢٠٠٤ أي بعد نصف قرن من صدور الأسس المنطقية للاستقراء.

اما على الصعيد العربي فيلاحظ عدم الإشارة الى كتاب الأسس المنطقية للاستقراء لباحثين عربيين هما الدكتور محمود احمد صبحي[٤] والدكتور احمد ماضي[٥]

(١) محمد الحسيني، محمد باقر الصدرحياة حافلة فكر خلاق، بيروت، دار المحجة البضاء، ٢٠٠٥، ص ٥٤٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٥٥٤.

(٣) حسن ابراهيميان، نظرية المعرفة، (بيروت: مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر) ٢٠٠٤.

(٤) احمد محمود صبحي، اتجاهات الفلسفة الاسلامية، بحث منشور في (الفلسفة في الوطن العربي المعاصر)، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية)، ١٩٨٥، ص١٠١.

(٥) احمد ماضي، الوضعية المحدثة والتحليل المنطقي بحث مقدم في (الفلسفة في الوطن العربي المعاصر)، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية)، ١٩٨٥، ص.

عرض كتاب فلسفتنا للسيد الشهيد الصدر:

نشر كتاب فلسفتنا للسيد محمد باقر الصدر بطبعته الاولى عام ١٣٧٩ – هـ ١٩٥٩م وكان عمره حينما ألف الكتاب ستا وعشرين سنة. لأنه من مواليد ١٩٣٣م، وأمضى السيد الصدر مدة عشرة أشهر لتأليف الكتاب، وترجم الكتاب الى اللغة الانكليزية من قبل الاستاذة شمس عيناتي عام ١٩٨٧ وطبع في لندن.

ويقع الكتاب بنسخته العربية في (٣٤٩) صفحة وطبع عدة مرات من قبل العديد من دور النشر العربية والاسلامية وقد تعرض الكتاب من قبل العديد من الباحثين والدارسين للنقد والتحليل. فقد نشرت مجلة الثقافة العربية بحثاً للباحث مهدي النجار، تعرض لدراسة ونقد للكتاب.

ونشرت مجلة الغد في عددها الرابع عشر لشهر اذار عام ١٩٨٣ بحثا تحت عنوان (ملاحظات حول كتاب فلسفتنا للشهيد محمد باقر الصدر) للكاتب ماجد رحيم. كما نشرت مجلة الثقافة الجديدة بحثا للسيد مهدي النجار، وقام السيد عمار ابو رغيف بتقديم ملاحظات نقدية على هاتين الدراستين في كتابه (قراءات نقدية جادة)[١].

ولا بد من الاشارة الى ان الكتاب لم يحظ باي دراسة تحليلية ونقدية تحقيقية من قبل الباحثين ولاسيما المختصين في الدراسات الفلسفية عراقيا وعربيا.

إن السيد الصدر كان يفكر بروح وبدافع وبعقل الجماعة الإسلامية، وجاء تأليفه للكتاب نظرا الى الظروف المحيطة

والأسباب الفكرية والاجتماعية والثقافية والسياسية، ونتيجة تصاعد الفكر الماركسي في العراق وتعاظم أمرهم وانتشار فكرهم بين الناس بصورة كبيرة، وما كان على رجال الدين والفكر أن يقفوا حيال هذه الأفكار مكتوفي الأيدي، بل اخذوا على

(١) عمار أبو رغيف، قراءات نقدية جادة، (دار الفقه للطباعة والنشر، مطبعة برهان) ، ١٤٢٧.

عاتقهم توعية الناس والجماهير بما يجرى على الساحة من قضايا تحاول تزييف الدين والفكر على حد سواء.

أهم الأسباب التي دفعت الصدر لتأليفه الكتاب[١]:

١) الاستدلال على المنطق العقلي القائل بصحة الطريقة العقلية في التفكير.
٢) درس قيمة المعرفة البشرية بالتدليل على أن المعرفة إنما يمكن التسليم لها بقيمة على أساس المنطق العقلي لا المنطق الديالكتيكى الذي يعجز -في نظر الصدر- عن إيجاد قيمة صحيحة للمعرفة.
٣) مواجهة المد الشيوعي فكرياً بإيضاح نظرياته وردها علمياً.

اذ حدد السيد الصدر هيكلية وموضوع كتاب فلسفتنا في المقدمة حيث يقول: (فلسفتنا هو مجموعة مفاهيمنا الأساسية عن العالم وطريقة التفكير فيه.ولهذا كان الكتاب -باستثناء التمهيد- ينقسم إلى بحثين: احدهما نظرية المعرفة، والآخر المفهوم الفلسفي للعالم وقد جعل السيد الصدر نظرية المعرفة المدخل والأساس لموضوع معرفة وفهم العالم.إذ لا يمكن التعرف واكتشاف حقيقة العالم الخارجي من دون أن تبيين أدواتنا المعرفية ومصدرها وقيمتها، لأن طريقة إدراك ومعرفة العالم متوقفة على أساس وسائلنا المعرفية، ولذلك اختلفت الفلسفات والنظريات في معرفة حقيقة العالم باختلاف النظريات المعرفية، من حسية وعقلية ووجدانية وغيرها ففلسفتنا تمثل القاعدة والأساس التحتية للبناء الفوقي وهذا ما أشار إليه الصدر في مقدمة الطبعة الأولى لكتاب اقتصادنا[٢].

تناول الصدر في القسم الأول من الكتاب (نظرية المعرفة) موضوع المصدر الاساسي للمعرفة، وحاول فيه الصدر الإجابة عن سؤال كيف نشأت المعرفة عند

(١) رائد جبار كاظم، ملاحظات أولية حول كتاب فلسفتنا للسيد محمد باقر الصدر، ص٣.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص٤.

الإنسان وكيف تكونت حياته العقلية، وما هو المصدر الذي يمد الإنسان بذلك السيل من الفكر والإدراك[١]؟

انطلق الصدر في الإجابة عن هذا السؤال من خلال تقسيمه الإدراك إلى قسمين هما:التصور والتصديق.

التصور وهو عبارة عن الإدراك الساذج وقيام صورة الشيء في الذهن. أما التصديق فهو الإدراك القائم على حكم صادق أو كاذب.

وتطرق الباحث الى المناقشات التي تناولها الصدرفي مسألة التصور ومصدره الأساسي أهم النظريات الفلسفية والمنطقية بهذا الخصوص، كنظرية الاستذكار الافلاطونية والمذهب العقلي والمذهب الحسي التجريبي ونظرية الانتزاع. وهو لا يؤمن إلا بالنظرية الأخيرة وتأثر بها في بناء فلسفته.

ويصل الباحث مع السيد الصدر بخصوص نظرية المعرفة من حيث مصدرها وقيمتها الى النتائج الاتية: [٢]:

١) ان الادراك البشري على قسمين وهما التصور والتصديق، وليس للتصور بمختلف ألوانه اي قيمة موضوعية، لأنه عبارة عن وجود الاشياء في مداركنا، اما التصديق فهو وحده الذي يكشف عن وجود واقع موضوعي للتصور.
٢) للمبادئ العقلية الضرورية كمبدأ عدم التناقض والعلية والهوية الاثر الكبير على تمام وكمال المعرفة، لأنها قوانين عقلية لا يمكن الاستغناء عنها ويعتمد عليها حتى التجريبين في بناء فلسفاتهم ونظرياتهم المعرفية.

(١) المصدر السابق نفسه، ص٨.وكتاب عائشة المناعي، نظرية المعرفة في فلسفة الشهيد الصدر، .httpi//qspace.qu.edu.qa

(٢) محمد سعيد ريان، العقل في الإسلام رؤية جديدة، (القاهرة: مركز الحضارة العربية)، ٢٠١٢، ص٣٨، ٢٤٠.

٣) للحقيقة ناحيتين، ناحية ذاتية وأخرى موضوعية، وذلك كان الوجود ينقسم على قسمين: وجود ذهن ووجود خارجي، وهناك علاقية قوية بين الاثنين لا يمكن لاحداهما الاستغناء عن الاخر.

ما تقدم من الكلام كان يخص القسم الاول من كتاب فلسفتنا،

اما القسم الثاني منه فتناول موضوع (المفهوم الفلسفي للعالم) وفي هذا القسم تناول الصدر ابرز المذاهب الفلسفية التي اهتمت بدراسة حقيقة العالم[١].

ويرى ان البحث في حقيقة العالم ادى الى ظهور العديد من المذاهب الفلسفية والعلمية وابرزها المثالية والواقعية، وهذه المذاهب الفلسفية لم تختلف في طبيعة معرفة الوجود فحسب، بل اختلفت ايضا في اصل وطبيعة علته الاولى. ويسعى الصدر في هذا الموضوع الى بيان وتوضيح مصطلحاته الفلسفية بصورة دقيقة.

يرى الواقعيون ان الحقيقة مستقلة عن الشعور والادراك وهي موضوعية، اما المثاليون فيرون انها ذاتية ونسبية ومرتبطة بشعورنا وادراكنا لها.

ويرى الصدر ان هناك خطأ كبيرا درج عليه الباحثون وهو انهم وضعوا المفهوم الالهي للعالم مقابلا للمفهوم الواقعي، والمفهوم الالهي عندهم هو عينه المفهوم المثالي، ولهذا هم دائما يصفون الالهية شيء اخر. والمفهوم الالهي عنده نوع من انواع المفهوم الواقعي للعالم ويجب على معرفة ذلك

ويرى الصدر ان سبب وجود مفهوم مادي للعالم واخر الهي مرجعه الى الاختلاف في حقيقة وطبيعة العلة الاولى للوجود، فالمادية لا تؤمن بوجود علة اولى مجردة عن الطبيعة وانما ترى ان المادة هي السبب وراء كل تطور وتغير وهي اصل الاشياء.

(١) رائد جبار، مصدر سابق، ص ٩.

اما الالهية فانها تؤمن بوجود علة اولى مجردة ميتافيزيقية احدث كل ما في العالم من تطورات وتغيرات. وبعد ان يصحح الصدر اخطاء الباحثين في بعض الامور المتعلقة بفهم حقيقة العالم الخارجي يجد ان هناك ثلاث مفاهيم فلسفية برزت على الساحة وهي:

١) المفهوم المثالي.
٢) المفهوم الواقعي المادي.
٣) المفهوم الواقعي الالهي.

ومن العجيب والغريب اننا نسمع لأول مرة بوجود فلسفة واقعية إلهية، فماذا تعني هذه الواقعية؟

يقول الصدر: (ان الواقعية ليست وقفاً على المفهوم المادي، كما ان المثالية او الذاتية ليست هي الشيء الوحيد الذي يعارض المفهوم المادي ويقف امامه على الصعيد الفلسفي، بل يوجد مفهوم اخر للواقعية هو المفهوم الواقعي الالهي الذي يعتقد بواقع خارجي للعالم، ويرجع الروح والمادة معا الى سبب اعمق فوهما جميعاً).

ويرى الصدر انه لابد من تصحيح بعض الاخطاء التي وقع فيها بعض الباحثين ومنها[1]:

١) محاولة اعتبار الصراع بين الالهية والمادية مظهر من مظاهر التعارض بين المثالية والواقعية، وزعموا ان المفهوم الفلسفي للعالم لا يخرج من امرين: اما مفهوم مثالي واما مفهوم مادي، وهذا لايمكن الاقرار به، لان هناك واقعية الهية تشترك مع الواقعية المادية في امر وتختلف عنها في امر اخر.
٢) اتهم بعض الباحثين المفهوم الالهي بانه مفهوما غير علمي ولا يتفق مع القوانين التي يكشفها العلم بخصوص العالم. ويرى الصدر ان هذا الاتهام

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٩-١٠.

باطل وان المفهوم الالهي للعالم لا يعني الاستغناء عن الاسباب الطبيعية والقوانين العلمية، ولكنها في نفس الوقت تؤمن بوجود قوانين غيبية ومدبر مطلق بيده كل شيء.

٣) ان الطابع الروحي غلب على المثالية والالهية معا، حتة انه يبدوا ان الروحية في المفهوم الالهي هي نفسها في المفهوم المثالية تعني المجال المقابل للمجال المادي المحسوس، اي مجال الشعور والادراك والانا، اما الروحية الالهية فهي طريقة للنظر اي الواقع بصورة عامة لا مجالا مقابلا للمجال المادي وتؤمن هذه الروحية بوجود سبب مجرد مطلق يدير العالم برمته المادي منه والروحي على حد سواء.

ويثير الصدر مجموعة من الاسئلة حول المفهوم الالهي والمادي حول نظريتهما للعالم و يتساءل عن المميزة الاساسية لكلا المفهومين وما هو الفرق الرئيسي الي جعل منهما اتجاهين متعارضين ومدرستين متقابلتين هل هو العلم ام شيء اخر؟

يرى الصدر انه لا يوجد في ميدان العلم فيلسوف مادي واخر الهي لأن كلاهما يؤمنان بحقائق العلم، ولكن ما يميز بينهما البحث في علة واصل الوجود. فالالهي يعتقد بلون من الوجود مجرد عن المادة، اي موجود خارج الحقل التجريبي وظواهره وقواه. اما المادي فانه ينكر ذلك ولا يؤمن الا بالوجود الظاهري ويعتبر الاسباب الطبيعية التي كشف عنها التجربة والعلم هي الاسباب الاولية للوجود.

ويتساءل الصدر عن ماهية وطبيعة العلة الاولى المكونة للوجود عند الاتجاهين وهل العلة الفاعلة للمادة وللموجودات هي العلة المادية نفسها كما يذهب الاتجاه المادي ام هي علة ميتافيزيقية مجردة كما يذهب الاتجاه الالهي؟ هذا ما يحاول الاجابة عليه في موضوع (المادة او الله)

ويقوم الصدر بدراسة قيمة لموضوع المادة ويعرض لموقف العلماء والفلاسفة منها. وكان السبب الاساس وراء هذه الدراسة هو اثارته الفلسفة المادية حول طبيعة وماهية

واصل المادة وحسم مسالة العلة الفاعلة لهذه المادة على ضوء الفلسفة المادية من جهة والفلسفة الالهية من جهة اخرى. والحكم بهذه المسالة لصالح المدرسة والفلسفة الاكثر اقناعاً، علميا وفلسفيا.

ويرى الصدر انه من المحال ان تكون العلة المادية هي نفسها العلة الفاعلة كما تدعى الفلسفة الماركسية، لأن المادة لا تحتوي على كل امكانية التكامل وبالتالي لابد من وجود سبب وعلة مجردة خارج الطبيعة ومسيطرة عليها وتحتوي على كل امكانيات الكمال والجمال والجلال، وهذه العلة الفاعلة في نظر الالهيين تتمثل في الله تعالى، مصدر كل خير ونور وعطاء في السماوات والارض.

اما الموضوع الاخير من القسم الثاني من الكتاب الذي تناوله الصدر بالبحث والتحليل فهو موضوع الادراك، والبحث عن علاقة المدرك بالمدركات او الذات بالموضوع ويحاول فيه الاجابة على السؤال الاتي: هل ان عملية الادراك عملية مادية كما تزعم المادية ام هي ظاهرة مجردة عن المادة كما تذهب الالهية؟

والفائدة المتوخاة من دراسة هذا الموضوع هي محاولة الكشف عن حقيقة وماهية كيفية الادراك من وجهة نظر العلم والفلسفة اولا، ومحاولة الرد على الفلسفة الماركسية في رؤيتها للإدراك ثانيا.

وكانت هذه الدراسة المعمقة لموضوع الادراك عاملا محفزا للعديد من الباحثين للتوسع في هذا الموضوع.

كتاب فلسفتنا للسيد الصدر

واتسمت رؤية السيد الصدر في عرضه للحقيقة عند الفلاسفة بالنقد والتحليل، وابرز نقد وجهه بهذا الخصوص الى الفلسفة الماركسية ووضع رؤيتها للحقيقة ضمن المذهب النسبي الذي يرى ان الحقيقة مختلفة من شخص الى اخر، فليست في الفكر الانساني بنظرهم اي حقيقة مطلقة، وانما الحقائق التي ندركها حقائق نسبية دائما وهي انعكاس للواقع الخارجي وتطورات المادة.

والحقيقة عند الماركسية تتصف بالصفات الاتية[١]:

١) ان الحقيقة في نمو وتطور مستمرين يعكسها نموالواقع وتطوره
٢) ان الحقيقة والخطأ يمكن ان يجتمعا وذلك من خلال القضية ونقيضها
٣) ان اي حكم مهما بدت الحقيقة فيه واضحة فهو يحتوي على التناقض، وهذا بدوره يؤدي الى نمو المعرفة وزيادتها وذلك عن طريق المنطق الديالكتيكي القائم على القضية + نقيضها = التركيب.

وينتقد الصدر مفهوم الحقيقة عند الماركسية ويرفضه رفضاً قاطعاً لأنه لا يقوم على اي يقين، والحقيقة عند الصدر تتصم بالصفات الاتية[٢]:

١) ان الحقيقة مطلقة وغير متطورة، ان كان الواقع الموضوعي للطبيعة متطورا ومتحركا على الدوام.
٢) تتعارض الحقيقة مع الخطأ تعارضاً مطلقاً، فالحقيقة الواحدة البسيطة لا يمكن ان تكون حقيقة وخطأ في الوقت نفسه وهذا ما اكد عليه قانون عدم التناقض.

(١) رائد جبار، مصدر سابق، ص١٨٧ و عائشة المناعي، مصدر سابق، ص٢٩١.
(٢) رائد جبار، مصدر سابق، ص٨.

٣) ان سيادة منطق الديالكتيك وسيطرته على الحقيقة والمعرفة يحتم علينا الشك المطلق في كل حقيقة ما دامت في تغير وتحرك مستمرين، وبالتالي عدم وجود حقيقة مطلقة وثابته.

ثانياً: ألأدلة الفلسفية لإثبات الصانع في فلسفتنا للسيد الصدر:

بعض الادلة التي تثبت علية (سببية) الله للأشياء بالاضافة الى وجوده وكالاتي[١]:

١) دليل الحركة في اثبات الصانع:

وهو يقوم على ان المادة في حركة مستمرة ومتفق عليها ومن المسلمات التي لا جدال عليها. فهل سبب الحركة المادة نفسها او شيء اخر غير المادة؟

ويجيب السيد الصدر على هذا السؤال مؤكداً انه من الضروري تعدد المتحرك والمحرك لان الحركة تطور و تكامل تدريجي للشيء الناقص ولا يمكن للشيء الناقص ان يطور نفسه ويكمل وجوده تدريجياً وبصورة ذاتية، فسبب الحركة التطورية للمادة ليس هو المادة نفسها بل مبدأ وراء المادة يمدها بالتطور الدائم ويفيض عليها الحركة الصاعدة والتكامل المتدرج.

٢) الادلة المستندة الى العلوم الطبيعية في اثبات الصانع[٢]:

وهي الادلة التي تستند الى النظر على عالم الطبيعة وما فيه من العناية والتدبير والغاية والقصد والتسائل عن السبب وراء كل هذا هل هي المادة؟ او الخالق العظيم؟ وهنا يتم استعراض عدة مسائل تستند الى عالم الطبيعية والى المكتشفات العلمية الحديثة للتاكيد من خلالها على وجود الله وعنايته بالعالم، فعلى سبيل المثال عندما ننظر الى فزيولوجيا الانسان نجد هناك من الحقائق المدهشة التي تدل على عظمة الخالق فعلى

(١) محمد باقر الصدر، فلسفتنا (قم: طبعة المؤتمر، ١٤٢٤) ص٣٩٢-٣٩٣.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٣٩٥-٤٠٤.

سبيل المثال لو نظرنا الى الجهاز الهضمي وما فيه من اساليب التحليل الكيميائي وتوزيع المواد الغذائية وتحولها الى عظام وشعر واسنان واضافر واعصاب، ولو نظرنا الى الخلايا الحية والجهاز البصري الصغير وما فيه من روعة الاتقان سوف تدلنا هذه الشواهد على عناية وتدبير وقدرة الله ولا يمكن ان تكون المادة العمياء التي لا تحمل اقصد من وراء كل هذا.

اما فيما يخص علم الوراثة فانه يمدنا ومن خلال مكتشفاته العلمية بالادلة الواضحة على العناية الالهية والتدبير والقصد الالهي من نظام الوارثة الدقيق وقوة الجينات التي توجه بها جميع خلاية الجسم وتنشئ للحيوان شخصيته وصفاته، فهل هذا يدل على المادة والصدفة والاتقان او يدل على الله سبحانه وتعالى.

وكذلك الحقائق العلمية التي تقدمها لنا العلوم الاخرى كالبيولوجيا وعلم النفس فانها جميعها شواهد على وجود الله وعنايته و تدبيره للأشياء وللعالم والكون اجمع وبكل تفاصيله وعلى ضوء ما تقدم نصل الى نتيجة يؤكدها السيد في نهاية استعراضه لهذه الادلة بقوله (ولنلتفت – بعد كل ما سقناه من دلائل الوجدان على وجود القوة الحكيمة الخلاقة الى الفرضية المادية، لنعرف في ضوء ذلك مدى سخفها وتفاهتها فان هذه الفرضية حين تزعم ان الكون بما زخر به من اسرار النظام وبدائع الخلقة والتكوين وقد أوجدته علة لا تملك ذرة من الحكمة والقصد تفوق في سخفها وغرابتها الآف المرات من يجد ديوانا ضخماً من أروع الشعر وأرقاه أو كتابا علميا زاخراً بالأسرار فيزعم بأن طفلا كان يلعب على الورق فاتفق أن ترتبت الحروف فتكون منها ديوان الشعر أو كتاب العلم.

٣) نموذج من الدليل الفلسفي على إثبات الصانع[١]

قبل الشروع في الحديث عن الدليل الفلسفي على إثبات الصانع سبحانه وتعالى لا بد من التساؤل: ما هو الدليل الفلسفي؟ وما الفرق بينه وبين الدليل العلمي؟ وما هي أقسام الدليل؟

إنّ الدليل ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وهي: الدليل الرياضي، والدليل العلمي، والدليل الفلسفي.

١-: فالدليل الرياضي: هو الدليل الذي يستعمل في مجال الرياضيّات البحتة والمنطق الصوري الشكلي، ويقوم هذا الدليل دائماً على مبدأ أساسي، وهو مبدأ عدم التناقض القائل: إنّ (أ) هي (أ) ولا يمكن أن لا تكون (أ)، فكلّ دليل يستند إلى هذا المبدأ وما يتفرّع عنه من نتائج فقط نطلق عليه اسم الدليل الرياضي، وهو يحظى بثقة من الجميع.

٢-: الدليل العلمي: هو الدليل الذي يستعمل في مجال العلوم الطبيعيّة، ويعتمد على المعلومات التي يمكن إثباتها بالحسّ أو الاستقراء العلمي، إضافةً إلى مبادئ الدليل الرياضي.

٣-: الدليل الفلسفي: هو الدليل الذي يعتمد لإثبات واقع موضوعي في العالم الخارجي على معلومات عقليّة - المعلومات العقليّة: هي المعلومات التي لا تحتاج إلى إحساس وتجربة - إضافةً إلى مبادئ الدليل الرياضي.

وهذا لا يعني بالضرورة أنّ الدليل الفلسفي لا يعتمد على معلومات حسّيّة أو استقرائيّة، وإنّما يعني أنّه لا يكتفي بها، بل يعتمد إلى جانب هذا -أو بصورة مستقلّة

(١) محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، (قم: دار البشير، مطبعة شريعت، ١٤٣٢) ص ٤٥-٤٦. كذلك انظر حسين سعد، منهج السيد محمد باقر الصدر في اثبات أصول الدين، بحث في كتاب منهاج الامام الشهيد محمد باقر الصدر سمو الذات وخلود العطاء، (بيروت: الغدير للدراسات والنشر) ٢٠٠٠، ص١١٤.

عن ذلك- على معلومات عقليّة أُخرى في إطار الاستدلال على القضيّة التي يريد إثباتها.

فالدليل الفلسفي إذن يختلف عن الدليل العلمي في تعامله مع معلومات عقلية لا تدخل في نطاق مبادئ الدليل الرياضي.

وعلى أساس ما قدّمناه من مفهوم الدليل الفلسفي قد نواجه السؤال التالي: هل بالإمكان الاعتماد على المعلومات العقلية -أي على الأفكار التي يوحي بها العقل- بدون حاجة إلى إحساس وتجربة أو استقراء علمي؟

والجواب على ذلك بالإيجاب، فإنّ هناك في معلوماتنا ما يحظى بثقة الجميع، كمبدأ عدم التناقض الذي تقوم عليه كلّ الرياضيات البحتة، وهو مبدأ يقوم إيماننا به على أساس عقلي، وليس على أساس الشواهد والتجارب في مجال الاستقراء.

والدليل على ذلك: أنّ درجة اعتقادنا بهذا المبدأ لا تتأثّر بعدد التجارب والشواهد التي تتطابق معها. ولنأخذ تطبيقاً حسابياً واضحاً لهذا المبدأ، وهو التطبيق القائل: ٤ = ٢ + ٢، فإنّ اعتقادنا بصحة هذه المعادلة الحسابية البسيطة اعتقاد راسخ لا يزداد بملاحظة الشواهد، بل إنّنا لسنا مستعدّين للاستماع إلى أيّ شاهد عكسي، ولن نصدّق لو قيل لنا: إنّ اثنين زائداً اثنين يساوي في حالة فريدة خمسة أو ثلاثة، وهذا يعني أنّ اعتقادنا بتلك الحقيقة ليس مرتبطاً بالإحساس والتجربة، وإلّا لتأثّر بهما أيجاباً وسلباً.

فإذا كنّا نثق كلّ الثقة باعتقادنا بهذه الحقيقة على الرغم من عدم ارتباطه بالإحساس والتجربة فمن الطبيعي أن نسلّم أنّ بالإمكان أن نثق أحياناً بالمعلومات العقلية التي يعتمد عليها الدليل الفلسفي.

وبكلمة أُخرى: أنّ رفض الدليل الفلسفي لمجرّد أنّه يعتمد على معلومات عقلية لا ترتبط بالتجربة والاستقراء يعني رفض الدليل الرياضي أيضاً؛ لأنّه يعتمدعلى مبدأ عدم التناقض الذي لا يرتبط اعتقادنا فيه بالتجربة والاستقراء.

يعتمد هذا الدليل (الفلسفي) على القضايا الثلاث التالية[1]:

١) على البديهية القائلة: إنّ كلّ حادثة لها سبب تستمدّ منه وجودها، وهذه قضية يدركها الإنسان بشعوره الفطري، ويؤكّدها الاستقراء العلمي باستمرار.

٢) على القضية القائلة: كلّما وجدت درجات متفاوتة من شيء ما بعضها أقوى وأكمل من بعض فليس بالإمكان أن تكون الدرجة الأقلّ كمالا والأدنى محتوىً هي السبب في وجود الدرجة الأعلى، فالحرارة لها درجات، والمعرفة لها درجات، والنور له درجات بعضها أشدّ وأكمل من بعض، فلا يمكن أن تنبثق درجة أعلى من الحرارة عن درجة أدنى منها، ولا يمكن أن يكتسب الإنسان معرفةً كاملةً باللغة الإنجليزية من شخص لا يعرف منها إلّا قدراً محدوداً أو يجهلها تماماً، ولا يمكن لدرجة نور ضئيلة أن تحقّق درجةً أكبر من النور؛ لأنّ كلّ درجة أعلى تمثّل زيادةً نوعيةً وكيفيةً على الدرجة الأدنى منها، وهذه الزيادة النوعية لا يمكن أن يمنحها من لا يملكها، فأنت حينما تريد أن تموّل مشروعاً من مالك لا يمكنك أن تمدّه بدرجة أكبر من رصيدك الذي تملكه.

٣) أنّ المادة في تطوّرها المستمرّ تتّخذ أشكالا مختلفةً في درجة تطوّرها ومدى التركيز فيها، فالجُزَيء من الماء الذي لا حياة فيه ولا إحساس يمثّل شكلا من أشكال الوجود للمادة، ونطفة الحياة التي تساهم في تكوين النبات والحيوان (البروتوبلازم) تمثّل شكلا أرفع لوجود المادة، و (الأميبا) التي تعتبر حيواناً مجهرياً ذا خلية واحدة تمثّل شكلا من وجود المادة أكثر تطوّراً، والإنسان هذا الكائن الحي الحسّاس المفكّر يعتبر الشكل الأعلى من أشكال الوجود في هذا الكون.

وحول هذه الأشكال المختلفة من الوجود يبرز السؤال التالي: هل الفارق بين هذه الأشكال مجرّد فارق كمّي في عدد الجزيئات والعناصر وفي العلاقات الميكانيكية بينها،

(١) محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، مصدر سابق، ص ٤٧-٤٨.

أو هو فارق نوعي وكيفي يعبّر عن درجات متفاوتة من الوجود ومراحل من التطوّر والتكامل؟

هذه القضايا الثلاث[1]

١) كل حادثة لها سبب.
٢) الأدنى لا يكون سببا لما هو أعلى منه درجة.
٣) اختلاف درجات الوجود في هذا الكون وتنوع أشكاله كيفيا.

توجد اجابتان لهذه القضايا في ضوء الفكر الاسلامي والمادي،

١) اجابة الماديين (والماركسيين بضمنهم) أن أنها جاءت من المادة نفسها، فالمادة التي لا حياة فيها ولا إحساس ولا فكر هي التي أبدعت من خلال تطورها الحياة والإحساس والفكر، أي أن الشكل الأدنى من وجود المادة كان هو السبب في وجود الشكل الأعلى درجة، والأغنى محتوى.

وهذه الإجابة تتعارض مع النقطة (٢) أعلاه، ومثال على ذلك هل يمكن لشخص يجهل اللغة الانكليزية أن يمارس تدريسها، أو يمكن لضوء خافت أن يمنحنا ضوءا أشد من ضوء الشمس، او أن شخصا فقيرا لا يملك رصيدا أن يمون المشاريع الرأسمالية.

٢) اجابة الاسلاميين أن هذه الزيادة الجديدة التي تعبر عنها المادة عبر تطورها جاءت من مصدر يتمتع بكل ما تحتويه تلك الزيادة الجديدة من حياة وإحساس وقدرة، وهو الصانع الله سبحانه وتعالى، وليس نمو المادة إلا تنمية يمارسها الله بحكمته وتدبيره ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤٩- ٥١.

الْخَالِقِينَ﴾. وهذه هي الإجابة الوحيدة التي تنسجم مع القضايا الثلاث أعلاه، وتعطي تفسيرا معقولا لعملية النمو والتكامل.يلاحظ قدرة وقوة أدلة المنظومة التقليدية وسهولة فهمها ايضا، بالاضافة الى صياغتها السهلة من قبل السيد الصدر.

الفصل الثاني

(الأسس المنطقية للاستقراء ونظرية المعرفة عند السيد الصدر)

اولاً: الاستدلال العِلميّ لإثبات الصانع (الله تعالى)

أنّ الدليل العلميّ لإثبات الصانع تعالى يتّخذ منهج الدليل الاستقرائي القائم على حساب الاحتمالات.و قبل البدء باستعراض هذا الدليل لا بد من شرح منهجه، وتقييمه ؛ للتعرف على مدى إمكانية الوثوق به والاعتماد عليه في اكتشاف الحقائق والتعرّف على الأشياء، ومنهج الدليل الاستقرائيّ القائم على حساب الاحتمالات له

صيغ معقّدة وبدرجة عالية من الدقّة، وتقييمه الشامل الدقيق يتمّ من خلال دراسة تحليلية كاملة للأُسس المنطقية للاستقراء ونظرية الاحتمال. وقدر الامكان سيتم تفادي الصعوبات والابتعاد عن أيّ صيغ معقّدة أو تحليل عسير الفهم.

ولهذا ينبغي القيام بأمرين هما[1]:

١) تحديد المنهج الذي سنتّبعه في الاستدلال، وتوضيح خطواته بصورة مبسّطة وموجزة.
٢) تقييم هذا المنهج وتحديد مدى إمكان الوثوق به، لا عن طريق تحليله منطقياً واكتشاف الأُسس المنطقية والرياضية التي يقوم عليها؛ لأنّ هذا سيؤدي إلى الدخول في أشياء معقّدة وأفكار على جانب كبير من الدقّة، بل تقييم المنهج الذي ستّبع في الاستدلال على الصانع الحكيم في ضوء تطبيقاته الأُخرى العملية المعترف بها عموماً لكلّ إنسان سوي، فأنّ المنهج الذي يعتمده الدليل وجود الصانع الحكيم هو نفس المنهج المعتمد في الاستدلال الموثوق في حياتنا

(١) محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، مصدر سابق، ص٢٧-٣١.

اليومية الاعتيادية، أو في البحوث العلمية التجريبية على السواء، إنّ ما يأتي سيوضّح بدرجة كافية أنّ منهج الاستدلال على وجود الصانع الحكيم هو المنهج الذي يتم استخدامه عادةً لإثبات حقائق الحياة اليومية والحقائق العلمية، فما دامت الثقة به لإثبات هذه الحقائق فمن الضروريّ الوثوق به بصورة مماثلة لإثبات الصانع الحكيم الذي هو أساس تلك الحقائق جميعاً.

فأنت في حياتك الاعتيادية حين تتسلّم رسالةً بالبريد فتتعرّف بمجرّد قراءتها على أنّها من أخيك، وحين تجد أنّ طبيباً نجح في علاج حالات مرضية كثيرة فتثق به وتتعرّف على أنّه طبيب حاذق، وحين تستعمل إبرة (بنسلين) في عشر حالات مرضية وتصابُ فورَ استعمالها في كلّ مرّة بأعراض معيّنة متشابهة فتستنتج من ذلك أنّ في جسمك حسّاسيةً خاصّةً تجاه مادة (البنسلين). أنت في كلّ هذه الاستدلالات وأشباهها تستعمل في الحقيقة منهج الدليل الاستقرائيّ القائم على حساب الاحتمالات.

والعالِم الطبيعي في بحثه العلمي حينما لاحظ خصائص معيّنةً في المجموعة الشمسية فيتعرّف في ضوئها على أنّها كانت أجزاءً من الشمس وانفصلت عنها، وحينما استدلّ على وجود نبتون -أحد أعضاء هذه المجموعة- واستخلص ذلك من ضبط مسارات حركات الكواكب قبل أن يكتشف نبتون بالحسّ، وحينما استدلّ في ضوء ظواهر معيّنة على وجود الألكترون قبل التوصّل إلى المجهر الذرّي، إنّ العالِم الطبيعي في كلّ هذه الحالات ونظائرها يستعمل في الحقيقة منهج الدليل الاستقرائيّ القائم على حساب الاحتمالات.وهذا المنهج نفسه هو منهج الدليل الذي سيتخذ لإثبات الصانع الحكيم، وهذا ما سيتضح عند استعراض الدليل.

ثانيا: تحديد وتوضيح ضغوطات المنهج الاستقرائي

ملخص منهج الدليل الاستقرائي القائم على حساب الاحتمالات (الصيغة الوصفية)[1]:

١) مواجهة ظواهر عديدة في مجال الحسّ والتجربة.
٢) الانتقال بعد ملاحظتها وتجميعها إلى مرحلة تفسيرها، عبر ايجاد فرضيةً صالحةً لتفسير تلك الظواهر وتبريرها جميعاً، والمقصود بكونها صالحة لتفسير تلك الظواهر أنّها إذا كانت ثابتةً في الواقع فهي تستبطن أو تتناسب مع وجود جميع تلك الظواهر التي هي موجودة فعلا.
٣) ملاحظة أنّ هذه الفرضية إذا لم تكن صحيحةً وثابتةً في الواقع ففرصة تواجد تلك الظواهر كلّها مجتمعةً ضئيلةٌ جدّاً، بمعنى أنّه على افتراض عدم صحة الفرضية تكون نسبة احتمال وجودها جميعاً إلى احتمال عدمها أو عدم واحد منها على الأقلّ ضئيلةً جدّاً، كواحد في المئة، أو واحد في الألف، وهكذا...
٤) الاستخلاص بأنّ الفرضية صادقة، والدليل على صدقها وجود تلك الظواهر الموجودة في الخطوة الأُولى.
٥) إنّ درجة إثبات تلك الظواهر للفرضية المطروحة في الخطوة الثانية تتناسب عكسياً مع نسبة احتمال وجود تلك الظواهر جميعاً إلى احتمال عدمها (١) على افتراض كذب الفرضية، فكلّما كانت هذه النسبة أقلّ كانت درجة الإثبات أكبر، حتّى تبلغ في حالات اعتيادية كثيرة إلى درجة اليقين الكامل بصحة الفرضية.

وفي الحقيقة هناك مقاييس وضوابط دقيقة لقيمة الاحتمال تقوم على أساس نظرية الاحتمال. وفي الحالات الاعتيادية يطبّق الإنسان بصورة فطرية تلك المقاييس

(١) محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، مصدر سابق، ص٢٧.

والضوابط، تطبيقاً قريباً من الصواب بدرجة كبيرة، ولهذا سنكتفي هنا بالاعتماد على التقييم الفطري لقيمة الاحتمال، دون أن ندخل في تفاصيل معقّدة عن الأُسس المنطقية والرياضية لهذا التقييم.

هذه هي الخطوات التي تتّبع عادةً في كلّ استدلال استقرائي يقوم على أساس حساب الاحتمال، سواء في مجال الحياة الاعتيادية، أو على صعيد البحث العلمي، أو في مجال الاستدلال المقبل على الصانع الحكيم سبحانه وتعالى.

ثالثا: المثال التطبيقي الوصفي لاثبات الصانع[1]

ويقيّم هذا المنهج من خلال التطبيقات والأمثلة، واختصارا يطبق على مثال حياتي واحد مثال (الرسالة).

قلنا آنفاً: إنّك حين تتسلّم رسالةً بالبريد وتقرأها فتتعرّف على أنّها من أخيك، لا من شخص آخر ممّن يرغب في مواصلتك ومراسلتك، تمارس بذلك استدلالا استقرائياً قائماً على حساب الاحتمال. ومهما كانت هذه القضية -وهي أنّ الرسالة من قبل أخيك- واضحةً في نظرك فهي في الحقيقة قضية استنتجتها بدليل استقرائي وفقاً للمنهج المتقدم.

فالخطوة الأُولى تواجه فيها ظواهر عديدة، من قبيل أنّ الرسالة تحمل اسماً يتطابق مع اسم أخيك تماماً، وقد كُتبت فيها الحروف جميعاً بنفس الطريقة التيكتب بها أخوك الألف والباء والجيم والدال والراء إلى آخر الحروف، وقد نسّقت الكلمات والفوارق بينها بنفس الطريقة التي اعتادها أخوك، وأُسلوب التعبير ودرجة متانته وما يشتمل عليه من نقاط قوة أو ضعف يتماثل مع ما تألفه من أساليب التعبير لدى أخيك، وطريقة الإملاء وبعض الأخطاء الإملائية المتواجدة في الرسالة هي نفس الطريقة ونفس الأخطاء التي اعتادها أخوك في كتابته، والمعلومات التي تتحدّث عنها الرسالة

(١) محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، مصدر سابق، ص٢٨-٢٩.

هي معلومات يعرفها أخوك عادةً، والرسالة تطلب منك أشياء وتعلن عن آراء تتوافق تماماً مع حاجات أخيك وآرائه التي تعرفها عنه.

هذه هي الظواهر.

وفي الخطوة الثانية تتساءل: هل الرسالة قد أرسلها أخي إليّ حقّاً، أو أنّها من شخص آخر يحمل نفس الاسم؟

وهنا تجد أنّ لديك فرضيةً صالحةً لتفسير وتبرير كلّ تلك الظواهر، وهي: أن تكون هذه الرسالة من أخيك حقّاً، فإذا كانت من أخيك فمن الطبيعيّ أن تتوافر كلّ تلك المعطيات التي لاحظتها في المرحلة الأُولى.

وفي الخطوة الثالثة تطرح على نفسك السؤال التالي: إذا لم تكن هذه الرسالة من أخي، بل كانت من شخص آخر فما هي فرصة أن تتواجد فيها كلّ تلك المعطيات والخصائص التي لاحظتها في الخطوة الأُولى؟

إنّ هذه الفرصة بحاجة إلى مجموعة كبيرة من الافتراضات؛ لأنّنا لكي نحصل على كلّ تلك المعطيات والخصائص في هذه الحالة يجب أن نفترض أنّ شخصاً آخر يحمل نفس الاسم، ويشابه أخاك تماماً في طريقة رسم كلّ الحروف من الألف والباء والجيم والدال وغيرها، وتنسيق الكلمات، ويشابهه أيضاً في أُسلوب التعبير، وفي مستوى الثقافة اللغوية والإملائية، وفي عدد من المعلومات والحاجات، وفي كثير من الظروف والملابسات. وهذه مجموعة من الصدف يعتبر احتمال وجودها جميعاً ضئيلا جدّاً، وكلّما ازداد عدد هذه الصدف التي لابدّ من افتراضها، تضاءل الاحتمال أكثر فأكثر.

والأُسس المنطقية للاستقراء تُعلمنا كيف نقيس الاحتمال؟ وتفسّر لنا كيف يتضاءل هذا الاحتمال؟ ولماذا يتضاءل تبعاً لازدياد عدد الصدف التي يفترضها؟ ولكن ليس من الضروري أن ندخل في تفاصيل ذلك؛ لأنّها معقّدة وصعبة الفهم على القارئ الاعتيادي.ومن حسن الحظّ أنّ ضآلة الاحتمال لا تتوقّف على فهم تلك التفاصيل، كما

لا يتوقّف سقوط الإنسان من أعلى إلى الأرض على فهمه لقوة الجذب واطّلاعه على المعادلة العلمية لقانون الجاذبية، فلستَ بحاجة إلى شيء لكي تحسّ بأنّ احتمال أن يتواجد شخص يشابه أخاك في كلّ تلك الظروف والحالات بعيد جدّاً، وليس البنك بحاجة إلى استيعاب الأُسس المنطقية للاستقراء لكي يعرف أنّ درجة احتمال أن يسحب كلّ زبائنه ودائعهم في وقت واحد ضئيل جدّاً، بينما احتمال أن يسحب واحد أو اثنان ليس كذلك.

وفي الخطوة الرابعة تقول: ما دام تواجد كلّ هذه الظواهر في الرسالة أمراً غير محتمل إلّا بدرجة ضئيلة جدّاً، على افتراض أنّ الرسالة ليست من أخيك، فمن المرجّح بدرجة كبيرة بحكم تواجد هذه الظواهر فعلا أن تكون الرسالة من أخيك.

وفي الخطوة الخامسة تربط بين الترجيح الذي قرّرته في الخطوة الرابعة -ومؤدّاه أنّ الرسالة قد أُرسلت من أخيك- وبين ضآلة الاحتمال التي قرّرتها في الخطوة الثالثة، وهي ضآلة احتمال أن تتواجد كلّ تلك الظواهر في الرسالة بدون أن تكون من أخيك، ويعني الربط بين هاتين الخطوتين أنّ درجة ذلك الترجيح تتناسب عكسياً مع ضآلة هذا الاحتمال، فكلّما كان هذا الاحتمال أقلّ درجةً كان ذلك الترجيح أكبر قيمةً وأقوى إقناعاً. وإذا لم تكن هناك قرائن عكسية تنفي أن تكون الرسالة من أخيك فسوف تنتهي من هذه الخطوات الخمس إلى القناعة الكاملة بأنّ الرسالة من أخيك.

هذا مثال من الحياة اليومية لكلّ إنسان.

رابعاً: الصيغة الرياضية للمنهج الاستقرائي القائم على حساب الاحتمالات[1]

بعد التعرف على المنهج العامّ للدليل الاستقرائي القائم على حساب الاحتمالات، وتقييمه عبر تطبيقاته المتقدمة، يمكن تطبيقه على الاستدلال لإثبات الصانع الحكيم، وذلك باتّباع الخطوات السابقة نفسها وكالآتي:

(١) محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، مصدر سابق، ص ٣٥ – ٤١.

الخطوة الأُولى (وجود مجموعة من الظواهر B i):

يلاحظ توافق مطّرد بين عدد كبير وهائل من الظواهر المنتظمة وبين حاجة الإنسان ككائن حيّ وتيسير الحياة له، على نحو أن وجود أيّ بديل لظاهرة من تلك الظواهر يعني انطفاء حياة الإنسان على الأرض أو شلّها.

وفي أدناه عدد من تلك الظواهر كأمثلة (B1، B2، B3، etc: ...)

B1تتلقّى الأرض من الشمس كمّيةً من الحرارة تمدّها بالدفء الكافي لنشوء الحياة وإشباع حاجة الكائن الحيّ إلى الحرارة، لا أكثر ولا أقلّ. وقد لوحظ علمياً أنّ المسافة التي تفصل بين الأرض والشمس تتوافق توافقاً كاملا مع كمّية الحرارة المطلوبة من أجل الحياة على هذه الأرض، فلو كانت ضعف ما عليها الآن لَما وجدت حرارة بالشكل الذي يتيح الحياة، ولو كانت نصف ما عليها الآن لتضاعفت الحرارة إلى الدرجة التي لا تطيقها حياة.

B2ويلاحظ أنّ قشرة الأرض والمحيطات تحتجز -على شكل مركّبات- الجزء الأعظم من الأوكسجين، حتّى إنّه يكوّن ثمانيةً من عشرة من جميع المياه في العالم، وعلى الرغم من ذلك ومن شدّة تجاوب الأوكسجين من الناحية الكيمياوية للاندماج على هذا النحو، فقد ظلّ جزء محدود منه طليقاً يساهم في تكوين الهواء، وهذا الجزء يحقّق شرطاً ضرورياً من شروط الحياة؛ لأنّ الكائنات الحيّة من إنسان وحيوان بحاجة ضرورية إلى أوكسجين لكي تتنفّس، ولو قُدّر له أن يُحتجز كلّه ضمن مركّبات لَما أمكن للحياة أن توجد.

B3وقد لوحظ أنّ نسبة ما هو طليق من هذا العنصر تتطابق تماماً مع حاجة الإنسان وتيسير حياته العملية، فالهواء يشتمل على ٢١ ٪ من الأوكسجين، ولو كان يشتمل على نسبة كبيرة لتعرّضت البيئة إلى حرائق شاملة باستمرار، ولو كان يشتمل

على نسبة صغيرة لتعذّرت الحياة أو أصبحت صعبة، ولَمَا توفّرت النار بالدرجة الكافية لتيسير مهماتها.

B4ويلاحظ ظاهرةً طبيعيةً تتكرّر باستمرار ملايين المرّات على مرّ الزمن تنتجالحفاظ على قدر معيّن من الأوكسجين باستمرار، وهي أنّ الإنسان والحيوان عموماً حينما يتنفّس الهواء ويستنشق الأوكسجين يتلقّاه الدم ويوزّع في جميع أرجاء الجسم، ويباشر هذا الأوكسجين في حرق الطعام، وبهذا يتولّد ثاني أوكسيد الكربون الذي يتسلّل إلى الرئتين ثمّ يلفظه الإنسان، وبهذا ينتج الإنسان وغيره من الحيوانات هذا الغاز باستمرار، وهذا الغاز بنفسه شرط ضروريّ لحياة كلّ نبات، والنبات بدوره حين يستمدّ ثاني أوكسيد الكربون يفصل الأوكسجين منه ويلفظه ليعود نقياً صالحاً للاستنشاق من جديد.

وبهذا التبادل بين الحيوان والنبات أمكن الاحتفاظ بكمّية من الأوكسجين، ولولا ذلك لتعذّر هذا العنصر وتعذّرت الحياة على الإنسان نهائياً إنّ هذا التبادل نتيجة آلاف من الظواهر الطبيعية التي تجمّعت حتى أنتجت هذه الظاهرة التي تتوافق بصورة كاملة مع متطلّبات الحياة.

B5ويلاحظ أنّ النتروجين بوصفه غازاً ثقيلا أقرب إلى الجمود يقوم عند انضمامه إلى الأوكسجين في الهواء بتخفيفه بالصورة المطلوبة للاستفادة منه. ويلاحظ هنا أنّ كمّية الأوكسجين التي ظلّت طليقةً في الفضاء، وكمّية النتروجين التي ظلّت كذلك منسجمتان تماماً، بمعنى أنّ الكمّية الأُولى هي التي يمكن للكمّية الثانية أن تخففها، فلو زاد الأوكسجين أو قلّ النتروجين لَمَا تمّت عملية التخفيف المطلوبة.

B6ويلاحظ أنّ الهواء كمّية محدودة في الأرض قد لا يزيد على جزء من مليون من كتلة الكرة الأرضية، وهذه الكمّية بالضبط تتوافق مع تيسير الحياة للإنسان على الأرض، فلو زادت نسبة الهواء على ذلك أو قلّت لتعذّرت الحياة أو تعسّرت، فإنّ زيادتها تعني ازدياد ضغط الهواء على الإنسان الذي قد يصل إلى ما لا يُطاق، وقلّتها

تعني فسح المجال للشهب التي تتراءى في كلّ يوم لإهلاكمن على الأرض واختراقها بسهولة.

B7ويلاحظ أنّ قشرة الأرض التي كانت تمتصّ ثاني أوكسيد الكربون والأوكسجين محدّدة على نحو لا يتيح لها أن تمتصّ كلّ هذا الغاز، ولو كانت أكثر سمكاً لامتصّته، ولهلك النبات والحيوان والإنسان.

B8ويلاحظ أنّ القمر يبعد عن الأرض مسافةً محدّدةً، وهي تتوافق تماماً مع تيسير الحياة العملية للإنسان على الأرض، ولو كان يبعد عنّا مسافةً قصيرةً نسبياً لتضاعف المدّ الذي يحدثه وأصبح من القوة على نحو يزيح الجبال من مواضعها.

B9ويلاحظ وجود غرائز كثيرة في الكائنات الحيّة المتنوّعة، ولئن كانت الغريزة مفهوماً غيبياً لا يقبل الملاحظة والإحساس المباشر فما تعبّر عنه تلك الغرائز من سلوك ليس غيبياً، بل يعتبر ظاهرةً قابلةً للملاحظة العلمية تماماً. وهذا السلوك الغريزيّ -في آلاف الغرائز التي تعرّف عليها الإنسان في حياته الاعتيادية أو في بحوثه العلمية- يتوافق باستمرار مع تيسير الحياة وحمايتها، وأنّه يبلغ أحياناً إلى درجة كبيرة من التعقيد والإتقان، وحينما نقسّم ذلك السلوك إلى وحدات نجد أنّ كلّ وحدة قد وضعت في الموضع المنسجم تماماً مع مهمّة تيسير الحياة وحمايتها.

B 10 والتركيب الفسلجي للإنسان يمثّل ملايين من الظواهر الطبيعية والفسلجية، وكلّ ظاهرة في تكوينها ودورها الفيسيولوجيّ وترابطها مع سائر الظواهر تتوافق باستمرار مع مهمّة تيسير الحياة وحمايتها.

فمثلا: نأخذ مجموعة الظواهر التي ترابطت على نحو يتوافق تماماً مع مهمّة الإبصار وتيسير الإحساس بالأشياء بالصورة المفيدة. إنّ عدسة العين تلقي صورة على الشبكية التي تتكوّن من تسع طبقات، وتحتوي الطبقة الأخيرة منهاعلى ملايين الأعواد والمخروطات، قد رتّبت جميعاً في تسلسل يتوافق مع أداء مهمّة الإبصار، من حيث

علاقات بعضها بالبعض الآخر وعلاقاتها جميعاً بالعدسة، إذا استثنينا شيئاً واحداً وهو: أنّ الصورة تنعكس عليها مقلوبة، غير أنّه استثناء مؤقّت؛ فإنّ الإبصار لم يربط بهذه المرحلة لكي نحسّ بالأشياء وهي مقلوبة، بل أُعيد تنظيم الصورة في ملايين أُخرى من خويطات الأعصاب المؤدّية إلى المخّ حتّى أخذت وضعها الطبيعي، وعند ذلك فقط تتمّ عملية الإبصار، وتكون عندئذ متوافقةً بصورة كاملة مع تيسير الحياة.

حتّى الجمال والعطر والبهاء كظواهر طبيعية نجد أنّها تتواجد في المواطن التي يتوافق تواجدها فيها مع مهمّة تيسير الحياة ويؤدّي دوراً في ذلك، فالأزهار التي ترك تلقيحها للحشرات لوحظ أنّها قد زوّدت بعناصر الجمال والجذب من اللون الزاهي والعطر المغري بنحو يتّفق مع جذب الحشرة إلى الزهرة وتيسير عملية التلقيح، بينما لا تتمّيز الأزهار التي يحمل الهواء لقاحها عادةً بعناصر الإغراء. وظاهرة الزوجية على العموم والتطابق الكامل بين التركيب الفسلجي للذكر والتركيب الفسلجيلأُنثاه في الإنسان وأقسام الحيوان والنبات على النحو الذي يضمن التفاعل واستمرار الحياة، مظهر كوني آخر للتوافق بين الطبيعة ومهمّة تيسير الحياة ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الخطوة الثانية (فرضية الوجود أي وجود الظواهر الموجودة في الخطوة الأولى):

لتكن (X) هي الفرضية الصالحة التي تفسر وتستبطن وجود جميع الظواهر. $B\ (i)$

$P\ (N)$ احتمال وجود جميع الظواهر

وجود هذا التوافق المستمرّ بين الظاهرة الطبيعية ومهمّة ضمان الحياة وتيسيرها في ملايين الحالات يمكن أن يفسّر في جميع هذه المواقع بفرضيةواحدة، وهي افتراض صانع حكيم لهذا الكون قد استهدف أن يوفّر في هذه الأرض عناصر الحياة ويُيسّر مهمّتها، فإنّ هذه الفرضية تستبطن كلّ هذه التوافقات.

الخطوة الثالثة (فرضية العدم أي عدم وجود الظواهر الموجودة في الخطوة الأولى)

يعني $P\ (M)$: احتمال عدمها أو عدم واحدة منها على الاقل.

نتساءل: إذا لم تكن فرضية الصانع الحكيم ثابتةً في الواقع فما هو مدى احتمال أن تتواجد كلّ تلك التوافقات بين الظواهر الطبيعية ومهمّة تيسير الحياة، دون أن يكون هناك هدف مقصود؟ ومن الواضح أنّ احتمال ذلك يعني افتراض مجموعة هائلة من الصُدَف، وإذا كان احتمال أن تكون الرسالة الواردة إليك بالبريد في مثال سابق هي من شخص آخر غير أخيك ولكنّه يشابهه في كلّ تلك الصفات فرض بعيد جدّاً؛ لأنّ افتراض المشابهة في ألف صفة ضئيل بدرجة كبيرة في حساب الاحتمالات، فما ظنّك باحتمال أن تكون هذه الأرض التي نعيش عليها بكلّ ما تضمه من صنع مادة غير هادفة ولكنّها تشابه الفاعل الهادف الحكيم في ملايين ملايين الصفات؟

الخطوة الرابعة (وهي ترجيح فرضية الوجود في الخطوة الثانية)

X ::هي الفرضية التي تفسر وتستبطن الظواهر (Bi) أي فرضية وجود الظواهر (Bi)

الترجيّح بدرجة لا يشوبها الشكّ أن تكون الفرضية التي طرحناها في الخطوة الثانية صحيحةً، أي أنّ هناك صانعاً حكيماً.

الخطوة الخامسة (وهي الربط بين تضاؤل الاحتمال في الخطوة ٣، والترجيح في الخطوة ٤ للوصول الى اليقين لا الظن)

*:اذا كانت X ليست صحيحة:

$H = \frac{P(M)}{P(N)}$ كمية صغيرة جدا

$$X \propto \frac{P(N)}{P(M)} = \frac{1}{\mathrm{H}}$$

*اذا كانت X صحيحة:

$$X \propto H = \frac{P(M)}{P(N)}$$

بسبب صحة الفرضية (X) *وأن قيمة* (H) *كبيرة* من جهة، وتضاؤل عدم صحة (X) من جهة اخرى يكون المطلوب وهو اثبات الصانع مبرهنا بالصيغة الرياضية وهو المطلوب.

نربط بين هذا الترجيح وبين ضآلة الاحتمال التي قرّرناها في الخطوة الثالثة. ولمّا كان الاحتمال في الخطوة الثالثة يزداد ضآلةً كلّما ازداد عدد الصدف التي لابدّ من افتراضها فيه كما عرفنا سابقاً، فمن الطبيعيّ أن يكون هذا الاحتمال ضئيلا بدرجة لا تماثلها احتمالات الخطوة الثالثة في الاستدلال على أيّ قانون علمي؛ لأنّ عدد الصدف التي لابدّ من افتراضها في احتمال الخطوة الثالثة هنا أكثرمن عددها في أيّ احتمال مناظر، وكلّ احتمال من هذا القبيل فمن الضروريّ أنيزول.

بقيت مشكلتان لابدّ من تذليلهما[1]

إحداهما: أنّه قد يلاحظ أنّ البديل المحتمل لفرضية الصانع الحكيم تبعاً لمنهج الدليل الاستقرائي هو أن تكون كلّ ظاهرة من الظواهر المتوافقة مع مهمة تيسير الحياة ناتجةً عن ضرورة عمياء في المادة، بأن تكون المادة بطبيعتها وبحكم تناقضاتها الداخلية وفاعليتها الذاتية هي السبب فيما يحدث لها من تلك الظواهر، والمقصود من الدليل الاستقرائي: تفضيل فرضية الصانع الحكيم على البديل المحتمل؛ لأنّ تلك لا تستبطن إلّا افتراضاً واحداً وهو افتراض الذات الحكيمة، بينما البديل يفترض ضرورات عمياء في المادة بعدد الظواهر موضوعة البحث، فيكون احتمال البديل احتمالا لعدد كبير من الوقائع والصدف، فيتضاءل حتى يفنى. غير أنّ هذا إنّما يتمّ إذا لم تكن فرضية الصانع الحكيم مستبطنةً لعدد كبير من الوقائع والصدف أيضاً، مع أنّه قد يبدو أنّها مستبطنة

(١) محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، مصدر سابق، ص ٤٠ – ٤٤.

لذلك؛ لأنّ الصانع الحكيم الذي يفسّر كلّ تلك الظواهر في الكون يجب أن نفترض فيه علوماً وقدرات بعدد تلك الظواهر، وبهذا كان العدد الذي تستبطنه هذه الفرضية من هذه العلوم و القدرات بقدر ما يستبطنه البديل من افتراض ضرورات عمياء، فأين التفضيل؟

والجواب: أنّ التفضيل ينشأ من أنّ هذه الضرورات العمياء غير مترابطة، بمعنى أنّ افتراض أيّ واحدة منها يعتبر حيادياً تجاه افتراض الضرورة الأُخرى، وعدمها، وهذا يعني في لغة حساب الاحتمال أنّها حوادث مستقلّة، وأنّ احتمالاتها احتمالات مستقلّة.

وأمّا العلوم والقدرات التي يتطلّبها افتراض الصانع الحكيم للظواهر موضوعة البحث فهي ليست مستقلّة؛ لأنّ ما يتطلّبه صنع بعض الظواهر من علم وقدرة هو نفس ما يتطلّبه صنع بعض آخر من علم وقدرة، فافتراض بعض تلك العلوم والقدرات ليس حيادياً تجاه افتراض البعض الآخر، بل يستبطنه أو يرجّحه بدرجة كبيرة، وهذا يعني بلغة حساب الاحتمال أن احتمالات هذه المجموعة من العلوم والقدرات مشروطة، أيّ أنّ احتمال بعضها على تقدير افتراض بعضها الآخر كبير جدّاً وكثيراً ما يكون يقيناً.

وحينما نريد أن نقيّم احتمال مجموعة هذه العلوم والقدرات واحتمال مجموعة تلك الضرورات ونوازن بين قيمتي الاحتمالين يجب أن نتّبع قاعدة ضرب الاحتمال المقرّرة في حساب الاحتمال، بأن نضرب قيمة احتمال كلّ عضو في المجموعة بقيمة احتمال عضو آخر فيها، وهكذا. والضرب كما نعلم يؤدّي إلى تضاؤل الاحتمال، وكلّما كانت عوامل الضرب أقلّ عدداً كان التضاؤل أقلّ، وقاعدة الضرب في الاحتمالات المشروطة والاحتمالات المستقلّة تبرهن رياضياً على أنّ في الاحتمالات المشروطة يجب أن نضرب قيمة احتمال عضو بقيمة احتمال عضو آخر على افتراض وجود العضو الأول، وهو كثيراً ما يكون يقيناً أو قريباً من اليقين، فلا يؤدّي الضرب إلى تقليل الاحتمال اطلاقاً،

أو إلى تقليله بدرجة ضئيلة جدّاً، خلافاً للاحتمالات المستقلّة التي يكون كلّ واحد منها حيادياً تجاه الاحتمال الآخر، فإنّ الضرب هناك يؤدّي إلى تناقض القيمة بصورة هائلة، ومن هنا ينشأ تفضيل أحد الافتراضين على الآخر. (من أجل توضيح قاعدة الضرب في الاحتمالات المشروطة والمستقلّة راجع كتاب الأُسس المنطقية للاستقراء).

والمشكلة الثانية: هي المشكلة التي تنجم عن تحديد قيمة الاحتمال القبلي للقضية المستدلّة استقرائياً. ولتوضيح ذلك يقارن بين تطبيق الدليل الاستقرائي لإثبات الصانع وتطبيقه في المثال السابق لإثبات أنّ الرسالة التي تسلمتَها بالبريد هي من أخيك.

ويقال بصدد هذه المقارنة: إنّ سرعة اعتقاد الإنسان في هذا المثال بأنّ الرسالة قد أرسلها أخوه تتأثّر بدرجة احتمال هذه القضية قبل أن يفضّ الرسالة ويقرأها، وهو ما نسمّيه بالاحتمال القبلي للقضية، فإذا كان قبل أن يفتح الرسالة يحتمل بدرجة خمسين في المئة مثلا أنّ أخاه يبعث إليه برسالة فسوف يكون اعتقاده بأنّ الرسالة من أخيه وفق الخطوات الخمس للدليل الاستقرائي سريعاً، بينما إذا كان مسبقاً لا يحتمل أن يتلقّى رسالةً من أخيه بدرجة معتدّ بها؛ إذ يغلب على ظنّه مثلا بدرجة عالية من الاحتمال أنّه قد مات فلن يسرع إلى الاعتقاد بأنّ الرسالة من أخيه ما لم يحصل على قرائن مؤكّدة، فما هو السبيل في مجال إثبات الصانع لقياس الاحتمال القبلي للقضية؟

والحقيقة أنّ قضية الصانع الحكيم سبحانه ليست محتملة، وإنّما هي مؤكّدة بحكم الفطرة والوجدان، ولكن لو افترضنا أنّها قضية محتملة نريد إثباتها بالدليل الاستقرائي فيمكن أن نقدّر قيمة الاحتمال القبلي بالطريقة التالية:

نأخذ كلّ ظاهرة من الظواهر موضوعة البحث بصورة مستقلّة، فنجد أنّ هناك افتراضين يمكن أن نفسّرها بأيّ واحد منهما، أحدهما: افتراض صانع حكيم، والآخر: افتراض ضرورة عمياء في المادة. وما دمنا أمام افتراضَين ولا نملك أيّ مبرّر مسبَق لترجيح أحدهما على الآخر فيجب أن نقسّم رقم اليقين عليهما بالتساوي، فتكون قيمة كلّ واحد منهما خمسين في المئة، ولمّا كانت الاحتمالات التي في صالح فرضية الصانع

الحكيم مترابطةً ومشروطةً والاحتمالات التي في صالح فرضية الضرورة العمياء مستقلّةً وغير مشروطة فالضرب يؤدّي باستمرار إلى تضاؤل شديد في احتمال فرضية الضرورة العمياء، وتصاعد مستمرّ في احتمال فرضية الصانع الحكيم.

والذي لاحظته بعد تتبّع وجهد أنّ السبب الذي جعل الدليل الاستقرائي العلمي لإثبات الصانع تعالى لا يلقى قبولا عامّاً على صعيد الفكر الأُوروبي وينكره فلاسفة كبار من أمثال (رَسل) هو عدم قدرة هؤلاء المفكّرين على التغلّب على هاتين النقطتين اللتين أشرنا هنا إلى الطريقة التي يتمّ التغلب بها عليهما، ومن أجل التوّسع والتعمّق في كيفية تطبيق مناهج←

وهكذا نصل إلى النتيجة القاطعة: وهي أنّ للكون صانعاً حكيماً بدلالة كلّ ما في هذا الكون من آيات الاتّساق والتدبير.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّه عَلَى كُلِّ شَيْء شَهِيدٌ﴾﴿فصّلت: ٥٣.﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَاختِلافِ اللَيْلِ وَالنَّهَارِ والفُلْكِ الَّتي تَجْري في البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاء فَأَحيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دابَّة وَتَصْريفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَات لِقَوْم يَعْقِلُونَ﴾﴿ البقرة: ١٦٤﴾.

﴿فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُور* ثُمّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾﴿ الملك: ٣﴾.

المنهج الأستقرائي القائم على حساب الأحتمالات (الصيغة الرياضية)[1]

(١) محمد حنون، بحث عن اثبات وجود الله تعالى ونبوة محمدﷺ باستخدام نظرية الاستقراء القائمة على حساب الاحتمالات، مشروع تخرج بكالوريوس رياضيات للعام الدراسي ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤، ص ٢٧.

الخطوة الأولى: (وجود مجموعة من الظواهر):

لتكن: (B)هي ظاهرة يمكن ان نلاحظها او أن نشعر بها او نحسبها من خلال الحس او التجربة. $\mathrm{M} = \{B1, B2, \dots, Bn\}$هي مجموعة تلك الظواهر (Bi)

هي مجموعة الاعداد الصحيحة الموجبة Z^+ $\mathrm{n} \in Z^+$

الخطوة الثانية (فرضية الوجود أي وجود الظواهر الموجودة في الخطوة الأولى):

لتكن (X) هي الفرضية الصالحة التي تفسر وتستبطن وجود جميع الظواهر.$B\ (i)$

الخطوة الثالثة (فرضية العدم أي عدم وجود الظواهر الموجودة في الخطوة الأولى):

اذا كان (X) ليست صحيحة، فإن $H = \frac{P(M)}{P(N)} \leq 1$تكون ضئيلة جدا0.01 أو 0.001 ,

حيث: $P\ (N)$ احتمال وجود جميع الظواهر.

: $P\ (M)$ احتمال عدمها أو عدم واحدة منها على الاقل.

وعليه اذا كانت

$\mathrm{H} = \frac{\mathrm{P(M)}}{\mathrm{P(N)}}$: 1 ≤ ولتكن

$\frac{1}{\mathrm{H}} = \frac{\mathrm{P(N)}}{\mathrm{P(M)}}$

الخطوة الرابعة: (وهي ترجيح فرضية الوجود في الخطوة الثانية):

X:هي الفرضية التي تفسر وتستبطن الظواهر(Bi) أي فرضية وجود الظواهر(Bi)

الخطوة الخامسة (وهي الربط بين تضاؤل الاحتمال في الخطوة ٣ والترجيح في الخطوة ٤ للوصول الى اليقين لا الظن)

*اذا كانت X ليست صحيحة:

$H = \frac{P(M)}{P(N)}$ كمية صغيرة جدا ⟸

$X \propto \frac{P(N)}{P(M)} = \frac{1}{\mathrm{H}}$ ⟸

*اذا كانت X صحيحة:

$$X \propto H = \frac{P(M)}{P(N)}$$

صحة الفرضية (X)او عدم صحتها يعتمد على قيمة (H)فاذا كانت (X) ليست صحيحة فهذا معناه ان قيمة (H) هي قيمة صغيرة جدا والعكس صحيح.

ملاحظة:

إن الأسس المنطقية للأستقراء تفسر لنا لماذا يتضائلأحتمال وجود الصدف تبعا لأزدياد اعدادها حيث هنالك علاقة عكسية بين عدد الصدف ونسبة احتمال وجودها.

كما ان تقييم المنهج الأستقرائي القائم على حساب الأحتمالات هو من خلال التطبيقات والأمثلة الموجودة في حياتنا اليومية الأعتيادية وسنطبق المنهج بخطواته مع المثال الأتي:

الاستنتاجات و التوصيات

أولا: الاستنتاجات:

١) ان العزلة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمعرفية كانت سببا رئيسيا في اتجاه الشباب آنذاك الى الآيديولوجيات الماركسية والاشتراكية والقومية.
٢) إن المنظومة العقائدية التقليدية التي تقوم على المنطق العقلي ساهمت ايضا الى جانب منظومة الأسس المنطقية في اثبات الصانع ومعالجة الإلحاد.
٣) إن المنهج الاستقرائي القائم على حساب الاحتمالات بصيغته الرياضية اسلوب مميز جدا في اثبات الصانع، لا تدع للمنكر مجالا للإنكار بسبب الطبيعة الرياضية التي لا تدع مجالا للشك.

ثانيا : التوصيات:

الاستمرار بدراسة الموضوع لمعالجة الإلحاد عبر تشكيل فريق بحثي من عدة تخصصات (فلسفة، تاريخ، اقتصاد، رياضيات، احصاء، علم نفس، تربويون، مترجمون، علم اجتماع، علماء دين متخصصون بالعقائد، والفلسفة والفقه) يناقشون سبل تشخيص المشكلة ووضع العلاج الصحيح لها، ويقارن بين الإلحاد اليوم، وبين ما مر بالعراق في خمسينيات القرن العشرين.

المصادر

١) احمد ماضي، الوضعية المحدثة والتحليل المنطقي بحث مقدم في (الفلسفة في الوطن العربي المعاصر) (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية)، ١٩٨٥.

٢) احمد محمود صبحي، اتجاهات الفلسفة الإسلامية في الوطن العربي، بحث منشور في (الفلسفة في الوطن العربي المعاصر)، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية)، ١٩٨٥.

٣) حسن ابراهيميان، نظرية المعرفة، (بيروت: مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر) ٢٠٠٤.

٤) حسين سعد، منهج السيد محمد باقر الصدر في اثبات أصول الدين، بحث في كتاب منهاج الامام الشهيد محمد باقر الصدر سمو الذات وخلود العطاء، (بيروت: الغدير للدراسات والنشر) ٢٠٠٠.

٥) رائد جبار كاظم، ملاحظات أولية حول كتاب فلسفتنا للسيد محمد باقر الصدر.

٦) عمار أبو رغيف، قراءات نقدية جادة، (دار الفقه للطباعة والنشر، مطبعة برهان، ١٤٢٧.

٧) عائشة المناعي، نظرية المعرفة في فلسفة الشهيد الصدر،

.httpi / /qspace.qu.edu.qa

٨) محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، (قم: دار البشير، مطبعة شريعت، ١٤٣٢).

٩) محمد باقر الصدر، فلسفتنا (قم: طبعة المؤتمر، ١٤٢٤).

١٠) محمد الحسيني، محمد باقر الصدرحياة حافلة فكر خلاق، بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٥.

١١) محمد حنون، بحث عن اثبات وجود الله تعالى ونبوة محمدﷺ باستخدام نظرية الاستقراء القائمة على حساب الاحتمالات، مشروع تخرج بكالوريوس رياضيات للعام الدراسي ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤.
١٢) محمد سعيد ريان، العقل في الإسلام رؤية جديدة، (القاهرة: مركز الحضارة العربية)، ٢٠١٢.